التنشئة السياسية في الأدب السياسي المعاصر

د. كمال المنوفي *

مقدمة :

لعل الاهتمام بالتربية السياسية للافراد قد زامل رحلة الفكر السياسي منذ مطلعها . ففي القرن السادس قبل الميلاد ، نرى كونفوشيوس ، فيلسوف الصين العظيم ، ينحى باللائمة على فساد نظام الحكم رادا اياه الى غياب المواطنة الصالحة نظرا لاختلال الاسرة وعجزها عن تلقين معاني الفضيلة والحب المتبادل والخير العام . لهذا ، طالب جهاز الدولة بتعليم النشء منذ الصغر ابتغاء خلق بناء اجتماعي قويم يتسنى معه قيام حكم صالح . ولم يكد ينصرم قرنان من الزمان حتى خرج افلاطون على الجماعة الاغريقية بكتاب « الجمهورية » الذي حوى ضمن ما حوى ، تصوره بشأن النظام التربوي الكفيل باعداد الفلاسفة الذين تقع على عاتقهم مهمة حكم المدينة الفاضلة . وسيرا على ذات المنوال ، وان لم يكن بالدرجة نفسها من الوضوح والتفصيل، راح رائد الفلسفة الاسلامية ابو نصر الفارابي الذي عاش فيما بين عامي ٨٧٠ــ٩٥٠ م ينوه في مؤلفه « آراء أهل المدينة الفاضلة » الى ضرورة تسلح الامام أو الرئيس بالمعرفة النظرية والعملية التي تهيىء له قيادة وتوجيه أهل المدينة نحو بلوغ السعادتين الدنيوية والاخروية . وفي كتابات كثير من المفكرين المحدثين أمثال جان جاك روسو واليكس دى توكفيل وجون ستيوارت ميل ، يتجلى التوكيد على دور التعليم السياسي في خلق المواطن الديمقراطي .

بيد أن هذا التناول الفلسفي للعلاقة بين التنشئة السياسية والسلوك السياسي سيطرت عليه بوجه عام نزعة تأملية انطباعية . وكرد فعل لهذه النزعة وللمعالجة القانونية للظاهرة السياسية من ناحية ، وكرد فعل للتأثير للتأثير السلوكي على الدراسات السياسية وللتطور في أساليب البحث الاجتماعي من ناحية أخرى ، صارت دراسات التنشئة السياسية ــ نظريا وتجريبيا ــ تشكل احدى بؤر اهتمام المشتغلين بعلم السياسة . فمنذ أن صدر كتاب هربرت هايمان عن « التنشئة السياسية » عام ١٩٥٩ ، أخذ

---

* استاذ العلوم السياسية بكلية الاقتصاد في جامعة القاهرة .

الفقه السياسي يزخر بالعديد من البحوث والدراسات التي تعالج موضوع التنشئة معالجة نظرية وتجريبية . هذا الاهتمام المتزايد يمكن تفسيره في ضوء عدد من الحقائق :

فمن جهة ، تعاني اغلب المجتمعات المعاصرة بدرجات متفاوتة من ازمة تكامل قومي . اذ لا يخفى أن الاكثرية الكاثرة من بلدان العالم الثالث تحتضن جماعات عديدة متباينة عرقيا ولغويا ودينيا ، الامر الذي جعل من عملية بناء الامة مطلبا ملحا وعاجلا . وتواجه اكثر من دولة متقدمة ، وان يكن بدرجة أقل حدة ، ذات المشكلة حيث تضم اقليات لم تستوعب بعد في النسيج الاجتماعي تماما . فهناك الزنوج في الولايات المتحدة ، والكوبيكيون ذوي الاصل الفرنسي في كندا ، واليهود في الاتحاد السوفيتي . ومن هنا ، تصبح التنشئة السياسية لازمة لخلق شعور عام قوي بالهوية القومية .

ومن جهة ثانية ، شرعت جمهرة دول العالم الثالث غداة استقلالها في القيام بعمليات تحديثية اقتصادية واجتماعية وسياسية . ولعله مما لا شك فيه أن التنمية في بعدها السياسي تتضمن ، بجانب تطوير الابنية السياسية وتحقيق نوع من التمايز البنائي والتخصص الوظيفي ، احلال نسق من القيم السياسية الحديثة محل منظومة القيم التقليدية البالية . وتعد التنشئة المخططة والمستمرة سبيلا لا غنى عنه لاحداث التطوير الثقافي المنشود .

ومن جهة ثالثة ، يتميز عالم اليوم بحدة الصراع الايديولوجي بين المعسكرين الراسمالي والاشتراكي . فكلا منهما يتبنى ايديولوجية معينة ويحاول ما وسعه الجهد أن يحقق لها السيادة والتفوق على الايديولوجية المضادة . ويقتضي ذلك ، بطبيعة الحال ، جهودا تثقيفية وتربوية متواصلة من جانب دول كل معسكر بهدف تلقين مواطنيها ما تحويل ايديولوجيتها من مثل ومعتقدات .

وفضلا عما تقدم ، بلغ التقدم التكنولوجي ابان القرن الراهن شأوا عظيما . واذا كان هذا التقدم قد ضاعف من مقدرة السلطة الحكومية على مواجهة حركات العصيان والرفض الداخلية ، فانه ادى في الوقت نفسه الى اذكاء ثورة التطلعات المتزايدة بما يعنيه من كثرة وتنوع مطالب الافراد . وحيث ان اي نظام سياسي لا يستطيع أن يلبي مطالب اعضائه كافة في آن واحد ازاء الندرة النسبية في الموارد ، فمن المتصور دائما وجود احتمالات منذرة بالنسبة للاستقرار السياسي . وللحيلولة دون تحقق هذه الاحتمالات ، أو لتقليل فرص تحققها الى ادنى حد ممكن ، يمكن للنظام السياسي أن يتوسل بالتنشئة السياسية الى ترسيب مشاعر التعلق به والولاء له في نفوس اعضائه

بحيث لا يكون تأييدهم له مرهونا دائما بما يتحصلون عليه من موارد اقتصادية او اجتماعية او سياسية .

غير أن ما يسترعى النظر هو أن موضوع التنشئة السياسية ، رغم كثرة ما كتب ويكتب عنه في الادب السياسي الغربي ، لا تكاد توجد بخصوصه دراسات نظرية او تطبيقية باللغة العربية . من ثم تجيء أهمية دراستنا هذه التي راينا أن تكون دراسة نظرية بالدرجة الاولى تلقى الضوء على أهم محاور الموضوع آملين ان تتلوها بحوث اخرى تتصدى لاستكمال نواحي النقص وتحاول اختبار صدق الفرضيات المطروحة في هذا الشأن من خلال الدراسة التجريبية الجادة التي تتخذ من المجتمعات العربية مجالا لها .

وتقع دراستنا في ثلاثة مباحث ينعقد أولها لتأصيل مفهوم التنشئة السياسية ، ويعالج المبحث الثاني مراحل عملية التنشئة . أما المبحث الثالث والاخير فيعرض لادوات التنشئة .

المبحث الاول ــ تأصيل مفهوم التنشئة السياسية :

اولا : نحو التعريف بالمفهوم :

ليس لمفهوم التنشئة السياسية ، كغيره من المفاهيم السياسية ، تعريف محدد ، بل تكاد تتعدد تعريفاته بقدر تعدد من تناولوه بالدراسة . على انه يمكن التمييز بين اتجاهين رئيسيين بهذا الصدد : أما الاتجاه الاول ، وهو الاكثر شيوعا ، فينظر الى التنشئة كعملية يتم بمقتضاها تلقين المرء مجموعة القيم والمعايير السياسية المستقرة في ضمير المجتمع بما يضمن بقاءها واستمرارها عبر الزمن (١) . وهكذا يعرف هربرت هايمان التنشئة السياسية بانها « تعلم الفرد لمعايير اجتماعية عن طريق مختلف مؤسسات المجتمع تساعده على أن يتعايش سلوكيا معه (٢) . وقريبا من هذا التعريف ، وأن يكن اكثر منه وضوحا في التعبير عن الاتجاه المذكور ، قول كينيث لانجتون « تشير التنشئة السياسية في أوسع معانيها الى كيفية نقل المجتمع لثقافته السياسية من جيل الى جيل (٣) . وبصورة أكثر تفصيلا مع دوران في ذات السياق تقريبا ، يقترح فريد جرينستين ، تعريفا للتنشئة مؤداه أنها « التلقين الرسمي وغير الرسمي ، المخطط وغير المخطط للمعارف والقيم والسلوكيات السياسية وخصائص الشخصية ذات الدلالة السياسية وذلك في كل مرحلة من مراحل الحياة عن طريق المؤسسات المختلفة في المجتمع » (٤) .

وفحوى الاتجاه الثاني أن التنشئة عملية من خلالها يكتسب المرء تدريجيا هويته الشخصية التي تسمح له بالتعبير عن ذاته وقضاء مطالبه بالطريقة

التي تحلو له . ومن الجلي ان التركيز هنا لا ينصب على الاستمرارية والتوافق ولكن على التغير والاختلاف (٥) . ويرتبط بهذا الاتجاه النظر الى التنشئة كميكانزم لتعديل الثقافة السياسية السائدة في المجتمع او لخلق ثقافة سياسية جديدة تراها النخبة الحاكمة ضرورية للعبور بالمجتمع من التخلف الى التقدم .

هذان هما التياران الرئيسيان في التحديد لمفهوم التنشئة السياسية . ورغم ما بينهما من اختلاف ، الا انهما يقدمان نظرة متكاملة للمفهوم مما لا يسوغ معه ان ننحاز الى ايهما خاصة وان معالجتنا للموضوع من طبيعة نظرية في المقام الاول . على انه يمكن ، استرشادا بما تضمنه كلاهما ، ان نخلص الى تحديد عناصر مفهوم التنشئة السياسية فيما يلي :

ا ــ التنشئة السياسية ببساطة هي عملية تلقين لقيم واتجاهات سياسية ولقيم واتجاهات اجتماعية ذات دلالة سياسية .

ب ــ التنشئة السياسية عملية مستمرة بمعنى ان الانسان يتعرض لها طيلة حياته منذ الطفولة وحتى الشيخوخة .

جـ ــ تلعب التنشئة السياسية أدوارا رئيسية ثلاثة : نقل الثقافة السياسية عبر الاجيال ، خلق الثقافة السياسية ، ثم تغيير الثقافة السياسية .

ثانيا : وظيفة التنشئة السياسية في علاقتها بظواهر اخرى :

(١) التنشئة والمشاركة السياسية :

يقصد بالمشاركة السياسية تلك الانشطة الارادية التي يزاولها اعضاء المجتمع بهدف اختيار حكامهم وممثليهم والمساهمة في صنع السياسات والقرارات على نحو مباشر أو غير مباشر (٦) .وتتوقف مشاركة المرء على كم ونوعية المنبهات السياسية التي يتعرض لها . فكلما كثرت وتنوعت هذه المنبهات ــ والتي تنبثق من مصادر متعددة كالاجتماعات السياسية والحملات الانتخابية وادوات الاعلام .. الخ ــ كلما ازداد احتمال مشاركة الفرد في العملية السياسية وازداد عمق هذه المشاركة . والعكس صحيح (٧) .

غير أن مجرد التعرض للمنبه السياسي لا يكفي وحده لدفع الفرد الى المشاركة السياسية ، وانما يلزم ايضا ان يتوفر لديه قدر معقول من الاهتمام السياسي ، وهو ما يتوقف على نوعية خبرات تنشئته المبكرة . فالشخص

الذي ينشأ داخل المجموعات الاولية ، كالاسرة والمدرسة بأسلوب ديمقراطي قوامه التحاور والمشاركة في اتخاذ القرارات ، يكون أكثر ميلا واستعدادا للمشاركة السياسية من الشخص الذي يخضع لتنشئة اجتماعية سلطوية (٨) .

وهكذا فان القيم والاتجاهات والمعارف التي تتجمع لدى المرء من خلال عملية التنشئة المبكرة تؤثر على استجابته لمختلف المنبهات السياسية وبالتالي على مدى مشاركته في الحياة السياسية . فهي اما ان تشجع على الاهتمام بقضايا المجتمع وممارسة النشاط السياسي واما ان تكون ضد ذلك . كذلك فان السلوك السياسي امتداد للسلوك الاجتماعي . وكلما كان المرء مشاركا على الصعيد الاجتماعي كلما كان احتمال مشاركته في الانشطة السياسية اكبر والعكس بالعكس (٩) .

(٢) التنشئة والتجنيد السياسي :

يعنى بالتجنيد السياسي تقلد الافراد للمناصب السياسية سواء سعوا اليها بدافع ذاتي أو وجههم اخرون اليها (١٠) .

وينحدر شاغلوا المراكز السياسية من ثقافات فرعية مختلفة . ولهذا ، تصبح التنشئة السياسية الفعالة عملية حيوية لتزويدهم بالمعارف والمهارات السياسية . ومما يذكر أن القيم والاتجاهات التي اكتسبها الفرد من معايشته للجماعات الاولية تظل تزاول تأثيرها عليه بعد تجنيده في اي منصب سياسي . واذا اتجهت تلك الجماعات الى تلقين الافراد قيما تقليدية ، كما هو الحال في جمهرة البلدان التقليدية والانتقالية ، فلا بد وأن يكون لخبرات التنشئة المبكرة تأثير سالب على اداء اعضاء الابنية السياسية والادارية وبالتالي على اداء النظام السياسي ككل . وهنا تظهر اهمية عمليات التجنيد الانتقائي والبرامج التدريبية والتثقيفية التي يمكن ان تقلل من آثار التنشئة الاولية غير المواتية على سلوك القادة (١١) .

ويمكن أن تساهم الاسرة في اعداد الفرد لمركز سياسي معين كأن ينجح الوالدان في اقناع الابناء بالانضمام للحزب نفسه الذي يؤيدانه ، أو بممارسة مهنة سياسية أو ادارية ما . وتعمل الاحزاب والنقابات كأدوات لتأهيل البعض لتولي مناصب قيادية معينة (١٢) .

(٣) التنشئة والاستقرار السياسي :

في ضوء التحليل النظمي والنظرة الوظيفية الى النظام السياسي ، يشير الاستقرار الى قدرة النظام على أن يحفظ ذاته عبر الزمن ، أي أن يظل في

حالة تكامل (١٣) ، وهو ما لا يتأتى له الا اذا اضطلعت ابنيته المختلفة بوظائفها على خير وجه ومن بينها وظيفة التنشئة السياسية .

وللتنشئة السياسية بعدان باعتبارها وظيفة ضرورية لاستمرار النظام (١٤) . أولهما البعد الافقي : ومضمونه أن الجيل القائم ينقل ثقافته الى الجيل اللاحق . وثانيهما البعد الراسي ومؤداه ان يوجد اتساق بين قيم واتجاهات وسلوكيات أفراد الجيل السائد بما يضمن للجسد السياسي قدرا يعتد به من التلاحم والترابط .

وبقدر ما تؤدي التنشئة الى الاستقرار السياسي بقدر ما يؤدي الانقطاع فيها الى حالة من عدم الاستقرار . ويمكن ان يحدث ذلك في اي من الحالات الاتية :

(أ) التعارض بين انماط التنشئة السائدة وبين الابنية السياسية الجديدة (١٥) :

يؤدي هذا التعارض الى فتح الباب أمام الصراع وعدم الاستقرار . فعلى سبيل المثال ، جاءت المؤسسات والقيم الديمقراطية التي طرحها نظام فيمار في المانيا بعد الحرب العالمية الاولى متناقضة مع القيم السلطوية التي تشربها الالمان سواء داخل المجموعات الاولية او داخل الكون السياسي . ففي الاسرة ، اكدت التنشئة باستمرار على الطاعة المطلقة لاوامر الاب . وفي المدرسة ، نشىء الطالب دوما على الخضوع الكامل لسلطة المعلم المعنوية والفكرية . وعلى الصعيد السياسي لم تتعود الجماهير المشاركة الايجابية في عملية صنع القرار وانما اقتصر دورها على مجرد تأييد النخبة الحاكمة والامتثال لقراراتها .

ولهذا ، كان طبيعيا أن يعزف الشعب الالماني عن الابنية السياسية الديمقراطية الجديدة ، وعن المشاركة فيها . وأمام الضغوط ومشاعر الاستياء الجديدة التي ولدتها الاحداث الاقتصادية والدولية ، اضحى من غير الممكن سد الفجوة بين القيم السلطوية التي تلقنها الالمان وبين قيم المشاركة التي انتصرت لها جمهورية فيمار . وانتهى الامر بالنظام السياسي الديمقراطي الى الانهيار الكامل مخليا مكانه لنظام سياسي اوتقراطي .

(ب) اختلاف نمط تنشئة الجماهير عن نمط تنشئة الصفوة (١٦) :

تتميز جمهرة البلاد المختلفة بوجود نمطين منفصلين للتنشئة : احدهما خاص بالجماهير والاخر يتعلق بالصفوة . ولهذا عادة ما توجد فجوة بين قيم الجماهير وقيم الصفوة . وقد تؤدي هذه الفجوة الى تهديد استقرار النظام

السياسي . اذ يمكن أن تلجأ النخبة الثورية الحاكمة الى استخدام العنف لاكراه الجماهير على قبول نظام قيمها وطرح القيم التقليدية جانبا . كما قد تعمد الجماهير الى الاحتجاج العنيف على المحاولات التي تبذلها النخبة الحاكمة من أجل التحديث الثقافي .

(ج) تباين انماط التنشئة بين الاجيال :

تعرف كافة المجتمعات المعاصرة ، بدرجات متفاوتة ، ظاهرة الاختلاف الثقافي بين الاجيال ، وهي ما تجد تفسيرها في اختلاف ظروف وأساليب التنشئة . ففي المجتمع الامريكي ، تضيق الفجوة الثقافية بين الكبار والصغار الى حد كبير بفعل طبيعة اسلوب التنشئة داخل الاسرة . اذ يحرص الوالدان على أن يغرسا في نفوس الابناء ما يؤمنان به من قيم ، فضلا عن الشعور بالاستقلال والذاتية . وهما لهذا يضيقان من نطاق الرقابة عليهم ، بل ويجنح الاب الى معاملتهم كأخوة وكأصدقاء (١٧) .

وفي المجتمع السوفيتي ، يوجد تباين واضح بين قيم الكبار وقيم الشباب. فهناك ، يلقن النشىء ثقافة مغايرة لثقافة الكبار تدور عناصرها اجمالا حول مفهوم التقدم وطبيعة ووجهة التطور التاريخي وكيفية بناء المجتمع الشيوعي ودور الاتحاد السوفيتي في الشئون الدولية ودور الحزب الشيوعي في الداخل والخارج (١٨) .

وتعاني الدول حديثة الاستقلال من انقطاع ثقافي حاد بين الاجيال . فمنذ الاستقلال ، شهدت هذه الدول تحولا اجتماعيا استتبع قدرا من التغير في نمط التنشئة الاجتماعية . وفي الوقت عينه ، عمدت قياداتها الى التوسل بالتنشئة السياسية الى احلال ثقافة سياسية حديثة محل الثقافة التقليدية . وغالبا ما يتخذ المسنون موقف الرفض من القيم الجديدة التي تتعارض مع القيم التقليدية المستقرة في نفوسهم . أما العناصر الشابة فعادة ما تستجيب للقيم الجديدة التي يرون فيها حلا لازمة هويتهم اي سبيلا للتخلص من التوتر النفسي الناجم عن الفجوة بين قيم الثقافة التقليدية وقيم الثقافة الحديثة . وهكذا تتضمن ثقافة الكبار خصوصا في الريف عناصر الولاء المحلي والشك في القادة واحترام المعايير التقليدية للسلطة والمكانة كالثروة والسن والاصل . وترتبط هذه الخصائص الثقافية بالتنشئة التقليدية التي تعرضوا لها . وبالعكس تؤكد ثقافة الشباب ، وربما كاثر للتنشئة السياسية التي تضطلع بها المدرسة والحزب وادوات الاعلام ، على قيم الولاء القومي ، والثقة في القادة وجدوى النشاط الحكومي واحترام الكفاءة والاداء كمحكات للسلطة (١٩). ومع هذا الصراع الثقافي الحاد بين الاجيال ، يكون الشباب أكثر من الكبار

ميلا الى اعتناق الايديولوجيات الثورية والانضمام للتنظيمات والحركات المناهضة للوضع القائم والهادفة الى تغييره .

المبحث الثاني ــ مراحل التنشئة السياسية :

يكاد يتفق جمهور الباحثين على ان عملية التنشئة السياسية تبدأ في سن الثالثة وتستمر طول الحياة . ويتحدد السلوك السياسي للفرد في مرحلة النضج ، بدرجة ما ، بخبرات التنشئة التي يكتسبها في مرحلتي الطفولة والمراهقة . وتمضي الدراسة في تناول ديناميكية ومضمون عملية التنشئة في هذه المراحل الثلاث : الطفولة ، المراهقة ، النضج والاعتدال .

(١) مرحلة الطفولة :

حتى يتسنى للنظام السياسي ان يبقى عبر الزمن ، وان يؤقلم ذاته للظروف المتغيرة ، فلا معدى عن الاهتمام بالتربية السياسية للنشىء ، اذ يؤلف الاطفال جزوا من المجتمع السياسي . ولذلك فهم يكتسبون نظم القيم والمعتقدات السياسية السائدة في هذا المجتمع ، والتي من شأنها أن تؤثر على سلوكهم السياسي في مرحلة النضج . وهي المرحلة التي تدعو المواطنين الى القيام بأدوار معينة في العملية السياسية (٢٠)

ولقد اثبتت الدراسات التي أجراها العالمان الامريكيان « دافيد ايتون » و « روبرت هيس » (٢١) أن التعليم السياسي للطفل الامريكي يبدأ في سن الثالثة اي قبل أن يلتحق بالمدرسة . اذ يرتبط عاطفيا برموز بلده وهيكل وصور نظامها السياسي قبل ادراكه للعالم السياسي بوقت طويل . وهو في مستهل حياته يعبر عن اعجابه بالاشياء المحلية التي يراها بنفسه كالحدائق والمدارس . ويعقب ذلك معرفته برموز مرئية للسلطة العامة مثل رجل البوليس والعلم القومي . وببلوغه سن الثانية عشرة ، تزداد معرفته بمفاهيم أكثر تجريدا كالتصويت والديمقراطية والحكومة .

وفي بداية مرحلة الطفولة ، غالبا ما تكون صورة الطفل عن رئيس الجمهورية مشابهة لصورته عن والده . ونظرا لانه يرى في السلطة الابوية تعبيرا عن حقيقة مثالية بحكم حاجته الى الامن والحماية ، فانه يجنح بالمثل الى نعت الرئيس بكافة الخصال الحميدة كالرأفة ، والشرف ، والكرامة ، وحب الاخرين . ومع تقدم السن ، يزداد ادراك الطفل للرئيس كجزء من نظام حكومي أشد تعقيدا ، بحيث لا تغدو الصورة المثالية متعلقة بشخص الرئيس ، وانما بالرئاسة ذاتها كمؤسسة سياسية .

ويرى احد الدارسين ان النظرة المثالية للطفل الامريكي الى الرئيس ليست امتدادا لصورته عن والده بقدر ما هي نتاج عوامل اخرى اكثر اهمية ، اذ تؤكد التنشئة المدرسية على الثقة في الرؤساء ، والتفاخر بهم وهو ما يتجلى في خلو الكتب الدراسية من كل ما يشين الرؤساء ، وامتلائها بعبارات المديح والثناء عليهم . كما تنزع الثقافة السياسية الامريكية بصفة عامة الى الرضى عن الحكام والثقة فيهم . كذلك لا تتاح للطفل فرصة اختبار الصورة المثالية للرئيس . فبينما قد يكتشف الطفل ، عن طريق ملاحظته الشخصية ، ان رجل البوليس اقل وفاء وعونا مما تصوره الكتب المدرسية ، لا تتأتى له فرصة مقارنة سلوك الرئيس بصورته المثالية التي تطرحها كتب التاريخ والتربية القومية ، ومن ثم تظل هذه الصورة المثالية عالقة في ذهن الطفل (٢٢) .

(٢) مرحلة المراهقة :

اولى الباحثون هذه المرحلة قدرا كبيرا من الاهتمام لاكثر من سبب . فمن ناحية ، يبدأ معظم الافراد خلالها تحمل بعض واجبات المواطنة مثل الاشتراك في التصويت واداء الخدمة العسكرية . ومن ناحية اخرى ، يتعلم الفرد اثناءها قيما وافكارا سياسية جديدة يمكن أن تتناقض مع قيم الاسرة . وفضلا عن هذا وذاك ، قد تشهد هذه المرحلة اتجاه المرء الى رفض نماذج السلوك التي نشأ على احترامها في مرحلة الطفولة ، اذ يشعر بعجز الوسط الذي يعيش فيه عن فهمه فيتمرد عليه (٢٣) .

وقد خلص اكثر من دارس الى ان التنشئة السياسية للمرء خلال مرحلة المراهقة تتميز بما يلي (٢٤) :

- نمو في القدرات الادراكية : مثل القدرة على ادراك اسباب ونتائج المشكلات والقدرة على تبرير الاختيارات السياسية ، والقدرة على ادراك آثار حل المشكلات الاجتماعية .

- نشوء الاحساس بالجماعية : اذ ينتقل الفرد من دائرة الانا الضيقة الى الدائرة الاجتماعية الاوسع . ويعني ذلك استيعابه لهيكل وعمل النظام الاجتماعي الكلي واقتناعه بان التصرف الجماعي سبيل لحل المشكلات السياسية . والجدير بالذكر أن توافر هذه النزعة الاجتماعية لدى المواطنين شرط لازم لتخطيط السياسة ، فبدونها لا يكون ثمة استعداد من جانب هؤلاء المواطنين لاضفاء صفة الشرعية على الحل الجماعي للمشكلات التي تواجه المجتمع .

ـ ميلاد الاطر الفكرية : اذ تتحول المشاعر الى افكار . الا ان هـذه الافكار تظل متقطعة وغير ثابتة ، ولا تتبلور في صورة مبادىء عامة . كما تتناقض مع بعضها البعض ، هذا فضلا عن سهولة رفضها .

(٣) مرحلة النضج والاعتدال (٢٥) :

لم تنل هذه المرحلة اهتماما ملحوظا من جانب دارسي التنشئة السياسية على اعتبار أن سلوك الفرد في مرحلة النضج يتحدد بما تعلمه من اتجاهـات ومعارف سياسية في مرحلتي الطفولة والمراهقة . الا أن هذا الاتجاه يغفل حقيقة جوهرية مفادها أن الاسرة لا يمكنها اعداد الفرد لمواجهة كل ما تتطلبه حياته في مرحلة النضج ، خاصة وانها لا تستطيع أن تتوقع الادوار التي قـد يتعين عليه اداؤها خلال المرحلة المذكورة .

ويتحدد السلوك السياسي للمواطن بما يكون قد تراكم لديه من معارف وقيم على امتداد مرحلتي الطفولة والمراهقة ، ثم بالقيم والمعارف التي يكتسبها خلال مرحلة النضج . فعلى سبيل المثال ، يخضع عضو البرلمان لعملية تنشئة بعد انتخابه ، ويتحدد سلوكـه التشريعي بمعارفه واتجاهاته السابقة على انتخابه . ثم بالخبرات التي يستقيها من عمله داخل الجهاز التشريعي .

وفي بعض الاحيان قد تكون التنشئة خلال مرحلة النضـج استمرارا للتنشئة في مرحلة الطفولة والمراهقة . ويؤدي ذلك ، بطبيعة الحال ، الـى تعزيز القيم والاتجاهات المبكرة . ومن ثم يصطبغ السلوك السياسي بصبغة محافظة . وفي احيان اخرى ، قد يعايش المواطن ابنية جديدة ـ كالاحزاب او ادوات الاعلام ـ تلقنه مفاهيم واتجاهات تتعارض مع انماط التنشئة الاولية بشكل يترتب عليه احداث تغييرات جوهرية في السلوك السياسي .

المبحث الثالث ـ ادوات التنشئة السياسية

يعايش الانسان من مهده الى لحده مؤسسات عديدة بعضها مفروض عليه كالاسرة وبعضها ارادي ينضم اليه طواعية كالحزب السياسي . وفـي غمار هذه المعايشة يكتسب قيما ومعايير واتجاهات تؤثر في سلوكه السياسي على نحو مباشر أو غير مباشر ويهدف هذا المبحث الى تحليل دور المؤسسات المختلفة في عملية التنشئة السياسية .

(١) الاسرة : تعتبر الاسرة واحدة من ابـرز مؤسسـات التنشئـة السياسية . ففي داخلها يبدأ الفرد اكتساب الاتجاهات والمعتقدات السائدة في المجتمع . وقد اظهرت الدراسات التي اجريت في المجتمع الامريكي عـن

العلاقة بين الاسرة وبين الانتماء الحزبي ان ٧٥٪ من الابناء البالغين يشاطرون آباءهم نفس التفضيلات الحزبية برغم اختلاف البيئة الاجتماعية والاقتصادية لكل من الجيلين . ذلك أن الاسرة الامريكية تتجه الى تنشئة ابنائها على الولاء للحزب الذي تؤيده ، وبالتالي يكتسب الاطفال الهوية الحزبية في وقت مبكر جدا . وتظل هذه الهوية دون تغيير بالنسبة لغالبية ابناء الشعب الامريكي (٢٦) .

والواقع أن الاسرة تمارس هذا التأثير التربوي من زوايا ثلاث (٢٧) :

أ ــ المركز الخاص للاسرة : تظل الاسرة لعدة سنوات بمثابة المصدر الوحيد الذي يشبع للطفل حاجاته المادية (المأكل والملبس) والمعنوية (الحب والحنان) هذا الاعتماد يدفع الطفل الى تقمص قيم واتجاهات والديه .

ب ــ فلسفة وقيم الاسرة : تعكس الاسرة نظاما للقيم يستوعبه الطفل ويختزنه في ذاكرته . بيد أن هذا لا يعني دائما حتمية التطابق بين قيم الاباء وقيم الابناء . اذ يمكن أن يؤدي التغير الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي الى اختلاف القيم والاتجاهات السياسية بين الاباء والابناء .

ج ــ طرق تربية الطفل : ان المعتقدات والاتجاهات التي يكتسبها الطفل داخل الاسرة لا ترجع فحسب الى التلقين العلني والمستتر للمعارف السياسية أو الاجتماعية وانما ايضا الى الاسلوب الذي تنتهجه في تربيته . اذ أن الاسرة أول نمط للسلطة يعايشه الطفل . وتؤثر طريقة ممارسة هذه السلطة على قيمه واتجاهاته . فاذا كان الاب شخصا سلطويا في علاقاته بأفراد الاسرة ، بات من المحتمل أن تتأكد لدى الابناء قيم الاكراه والسلبية والفردية ، وبالمقابل اذا تميز الاب بالديمقراطية فان قيم الحرية والاهتمام والجماعية يمكن أن تجد طريقها الى نفوس الابناء .

وأيا كان الامر ، تختلف النظم السياسية في تقديرها لاهمية الاسرة في مجال التنشئة السياسية . اذ بينما ترى فيها النظم المستقرة اداة محورية لنقل القيم والمعتقدات السياسية من جيل الى جيل ، تعتبرها النظم الثورية عقبة كأداء في سبيل التغيير الثقافي المنشود وبالتالي تعمد الى حصر دورها التربوي في أضيق الحدود (٢٨) .

(٢) المدرسة :

تلعب المدرسة دورا هاما في عملية التنشئة السياسية عن طريقين :

التثقيف السياسي من جانب ، وطبيعة النظام المدرسي من جانب آخر (٢٩) . ويتم التثقيف السياسي من خلال مواد معينة كالتربية الوطنية والتاريخ . وتهدف التربية الوطنية الى تعريف التلميذ بحكومة بلده وتحديد السلوك المتوقع منه ، وزرع مشاعر الحب والولاء القومي في نفسه . ويرمي تدريس التاريخ القومي بما يتضمنه من انتصارات وهزائم ، الى تعميق احساس الطالب بالفخر والانتماء القوميين .

وفيما يتعلق بطبيعة النظام المدرسي ، يلاحظ أن المدرسة وحدة اجتماعية لها جوها الخاص الذي يساعد ، بدرجة كبيرة ، في تشكيل احساس التلميذ بالفاعلية الشخصية ، وفي تحديد نظرته تجاه البناء الاجتماعي القائم . وفي هذا الصدد ، يشار الى تأثير كل من نوعية المدرس ، وطبيعة علاقته بالتلميذ ومدى تواجد التنظيمات المدرسية .

ـ نوعية المدرس : كلما كان المدرس ضالعا في مادته العلمية ، وقريبا الى قلوب طلابه ، وكلما كان مؤمنا بقيم النظام السياسي ، وملتزما بها في تصرفاته ، كلما كان اكثر قدرة على غرسها في نفوس الطلاب والعكس صحيح .

ـ علاقة المدرس بالتلميذ : قد تكون هذه العلاقة من طبيعة سلطوية ، بحيث لا يجوز للتلميذ أن يناقش المدرس داخل وخارج قاعة الدرس ، وهنا لا ينتظر من التلميذ أن يقبل على المشاركة السياسية حينما يصل الى مرحلة النضج . ويمكن أن يحدث العكس في حالة ديمقراطية العلاقة بين المعلم والتلميذ .

ـ التنظيمات المدرسية : لكل مدرسة تنظيماتها ومجموعاتها الاحتدائية ، ويتوقف نمو احساس الطلاب بالاقتدار الذاتي والانتماء الجماعي على امكانية انضمامهم الى هذه الهياكل ، ومدى اسهامها فعلا في ادارة المدرسة .

وجدير بالملاحظة أن المدرسة تبلغ اقصى درجات الفاعلية في التنشئة السياسية اذا كان ثمة تطابق بين ما تقوله وما تفعله . ولكن حينما يوجد تناقض بين مضمون مواد الدراسة وبين تصرفات هيئة التدريس ، فلا مفر من تواضع تأثير المدرسة في مضمار التربية السياسية . ومثال ذلك أن تتضمن مقررات التربية الوطنية والتاريخ قيما معينة مثل الكرامة الانسانية والمساواة بين البشر ، بينما تنطوي معاملة المدرسين للطلاب على كل شيء عدا الكرامة والمساواة .

والواقع ان النظم السياسية على اختلافها ، تعترف باهمية الـــدور التربوي للمدرسة . ففي الولايات المتحدة تعتبر المواد القومية اجبارية في كافة المدارس الحكومية . وتركز هذه المواد على التاريخ الامريكي (وخاصة اعلان الاستقلال والثورة الامريكية .) والدستـــور ، والابنية السياسية . واخيرا القيم الديمقراطية (٣٠) . وفي الاتحاد السوفيتي ، تتضمن البرامـــج المدرسية مواد كثيرة ذات طابع سياسي مثل « اسس المعرفة السياسية » و « الاقتصاد السياسي » . وتحظى مادتا الفلسفة والتاريخ بأهمية خاصة ، اذ تقدمان مفاهيم وحقائق توضح الخـــط الـــذي يتبنـــاه الحزب الشيوعي السوفيتي . كما تتولى المدرسة تلقين الطفل اغاني وشعارات الحزب (٣١) . وفي غالبية الدول الجديدة تضطلع ابنية عديدة بتعديل قيم واتجاهات الافراد كي تصبح ملائمة للتغير السياسي والاجتماعي المنشود . وتعتبر المدارس من ابرز هذه الابنية . ولذلـــك تتوسع الدولـــة في انشائها ، وتخضعها لتوجيه واشراف الحكومـــة (٣٢) .

(٣) جماعـــات الرفـــاق :

لا تعدو جماعة الرفاق ان تكون بناء اجتماعيا غير رسمي ، يضم عددا من الافراد ويجمعهم تقارب السن او قرب محل الاقامة او تماثل الوضـــع الطبقي او وحدة المكان الذي يرتادونه كالمدرسة او النادي او محل العمل . وغالبا ما تقوم العلاقات بين هـــؤلاء الافراد على اساس التكافؤ والاحترام المتبادل ، كما ينشأ بينهم تفاعل شخصي مباشر (٣٣) .

ومن هنا ، يتأتى لجماعات الرفاق ان تمارس تأثيرا له مغزاه على قيـــم واتجاهات اعضائها . وفي هذا الصدد ، يمكنها ان تضطلع بوظيفتين (٣٤) :

- نقل وتعزيز الثقافة السياسية : اذ يمكن عن طريق جماعات الرفاق نقل الثقافات الفرعية سواء كانت طبقية او مهنية او عرقية او دينية . . فالطفل الذي ينشأ في احضان اسرة تنتمي الى الطبقة العمالية يتعلم اسلوب حياة هذه الطبقة . واذا انضم في المدرسة الى جماعة رفاق تضم طلابا مـــن نفس طبقته الاجتماعية ، فان ذلك قد يؤدي الى تأكيد وتعميق الاتجاهات الطبقية التي اكتسبها في الاسرة .
- غرس قيم ومفاهيم جديدة : قـــد يتعلم المرء عـــن طريق جماعة الرفـــاق اتجاهات ونماذج سلوكية جديدة . اذ ان جماعة الرفاق تتيح لاعضائهـــا اول فرصة لمعايشة مجموعة احالة غير اسرية تلقنهم كيفية اداء ادوارهم وتنشئهم على انماط جديدة في التفكير والادراك والسلوك .

ويرى احد الباحثين ان دور جماعة الرفاق في عملية التنشئة السياسية يختلف عن دور الاسرة والمدرسة من ناحيتين (٣٥) :

ا ــ تظل علاقات السلطة داخل الاسرة والمدرسة حتى برغم ديمقراطيـــة عملية صنع القرار ، محكومة بمبدأ السيطرة والخضوع . وبخـــلاف ذلك ، ترتكز انماط السلطة داخـــل جماعة الرفـــاق على قيم النديـــة والديمقراطيـــة .

ب ــ تهيىء جماعة الرفاق لاعضائها ، وبعكس الاسرة والمدرسة ، مجالا ارحب للتكيف مع البيئة الاجتماعية والثقافية . ويظهر ذلك بصفة خاصة في المجتمعات الحديثة المعقدة حيث يتضاءل دور الاسرة في عملية التنشئة بحكم عجزها عن تلقين ابنائها خبرات التأقلم مع الوسط الاجتماعي الجديد . ومن ثم تزداد اهمية جماعات الرفاق ، اذ يتعلم الافراد من خلالها اساليب التكيف والتجاوب مع الظروف المتغيرة .

(٤) الحزب السياسي (٣٦)

يعتبر الحزب احد الابنية السياسية التي تتيح لاعداد كبيرة من المواطنين فرصة المشاركة في العملية السياسية بصورة أكثـــر ديمومـــة وانضباطا . وتؤدي هذه المشاركة الحزبية اما الى تعزيز القيم والمعتقـــدات السياسية السائدة واما الى خلرق اتجاهات ومعتقدات سياسية جـــديدة . وهكذا ، يضطلع الحزب بدور مزدوج في عملية التنشئة السياسية :

ا ــ دعم الثقافة السياسية القائمة :

يترتب على التعزيز الثقافي اما عرقلة اداء النظام السياسي لوظائفـــه واما تسهيل ادائه لهذه الوظائف :

ــ ففي فرنسا تسيطر الاحزاب على الصحف ، وتعتمد بدرجة لا بأس بهـــا على الاتجاهات العائلية . وهي لهذا تدعم الثقافات السياسية الفرعيـــة المتعارضة بشكل يضمن استمرار تجزئـــة الثقافة السياسية ، وبالتالي تهديد الاستقرار السياسي .

ــ وفي الدول الجديدة التعددية ، ربما يؤدي الاخذ بنظام التعدد الحزبي الى تعزيز الثقافات الفرعية ، ومن ثم الابقاء على الثقافة السياسية المجـــزاة مع ما يعنيه ذلك من اضعاف اداء النظام السياسي . ولهذا عمدت قيادات غالبية هذه الدول الى تبني نظام الحزب الواحد بدعوى ان هذا النظـــام اداة فعالة لزرع قيم سياسية عامة ، وبالتالي لتحقيق التكامل القومي .
ــ ونجد خلاف ما سبق في الولايـــات المتحـــدة حيث يقطـــع كلا الحزبـــين الديمقراطي والجمهوري الخطوط الطبقية والاقليمية ويعتمدان على رموز سياسة مقبولة وراسخة كالدستور والعملية الانتخابية والرئاسة ....

الخ . ومعنى هذا أن النشاط الحزبي يعمل على دعم الثقافة السياسية بشكل يرفع من قدرة النظام السياسي على أداء وظائفـــه .

ب ــ خلق ثقافة سياسية جديدة :

في أوقات الازمات ، تتعرض انماط التفكير والقيم السائدة للاهتزاز . ولهذا تزداد شعبية الاحزاب التي تطرح قيما وحلولا سياسية جديدة .

وهكذا قدمت الاحزاب الشيوعية والشمولية لملايين الاوروبيين ، خلال فترة الازمة الاقتصادية ، اطارا ثقافيا يخالف انماط الثقافة السياسية التي ترجع الى القرن التاسع عشر .

وفي الدول الجديدة ، حيث توجد ثقافات فرعية تقليدية ، وحيث تتطلب ثورة التحديث ، تغيير هذه الثقافات ، يتمتع الحزب بأهمية خاصة في اداء وظيفة التنشئة السياسية . اذ يتعاون مع أجهزة اخرى في غرس مفاهيـــم واتجاهات سياسية جديدة تدور حول الولاء القومي والمواطنة والجماعية .

وتجدر الاشارة الى ان دور الحزب بهذا الخصوص يرتكز على اكثر من دعامة اهمها : الايديولوجية (٣٧) والزعامـــة الكارزمية (٣٨) ، والبنيـــان التنظيمي . أما الايديولوجية فلا شك في ضرورتها اذا كان للحزب أن يحقق التحديث الثقافي المنشود ونسارع الى التنبيه بأن اي أيديولوجية لا تصلح في هذا الشأن وانما ينبغي أن تكون أيديولوجية غير محافظة (٣٩) .

ولعله مما لا ريب فيه أن ارتباط الحزب بقيادة كارزمية يخلع عليـــه قدرا من الشرعية ، الامر الذي يزيد من فاعليته في مجال التنشئة السياسية . ويتحقق هذا الارتباط اذا دأب الزعيم الكارزمي على استخدام الحزب والتحدث باسمه . على أن الشرعية التي يستمدها الحزب من الكارزما مؤقتة بطبيعتها حيث يمكن أن تتقوض بعد خروج الزعيم من السلطة لاي سبب كان او بعـــد مماته . ولهذا فلكي يظل الحزب حائزا لقبول الافراد وقادرا ، بالتالي ، على مواصلة عملية التغيير الثقافي ، لا مفر من أن يكون أداؤه بوجه عام على درجة عاليـــة من الفاعليـــة .

ومع هاتين الدعامتين ، ترتبط قدرة الحزب التربوية والتثقيفية بطبيعة بنيانه التنظيمي . فكلما امتدت تشكيلاته الى مختلف أنحاء البلاد ، وكلما كانت كوادره ملتزمة ايديولوجيا وحريصة على الاحتكاك المستمر بالجماهير ، كلما كان اكثر قدرة على اداء وظيفة التنشئة . والعكس صحيح .

ادوات الاتصال الجماهيري (٤٠) :

تلعب هذه الادوات ــ الصحف والراديو والتليفزيون والسينما ــ دورا

هاما في عملية التنشئة السياسية . اذ تزود المرء بالمعلومات السياسية وتشارك في تكوين وترسيخ قيمه السياسية . وفي المجتمعات المتقدمة تنتشر الادوات الاعلامية على نطاق واسع . وتتولى هذه الادوات نقل المعلومات عن قرارات وسياسات النخبة الحاكمة الى الجماهير ونقل المعلومات عن مطالب وردود فعل الجماهير الى النخبة . هذا التدفق المستمر للمعلومات من اعلا الى أسفل وبالعكس من شأنه العمل على توكيد قيم الثقافة السياسية السائدة .

وفي الدول النامية ، عمدت القيادات السياسية الى تطوير شبكة الاتصال الجماهيري لتسهم في تشكيل الثقافة السياسية الجديدة . غير أن الراديو هو اكثر الادوات الاعلامية انتشارا وتأثيرا . أما الادوات الاخرى فمحدودة الانتشار والتأثير خاصة في المناطق الريفية نظرا لتفشي الامية وتدهور مستويات المعيشة وغياب التيار الكهربائي والعزلة الطبيعية للقرية أحيانا .

حقا ، لقد ساهمت هذه الادوات الاعلامية وما زالت تسهم في ربط المجتمع المحلي بالمجتمع القومي وتوعية المواطن بالقضايا القومية بل والعالمية ونقل القيم الجديدة الى الجماهير وتقديم النماذج السلوكية المدعمة لها . غير أن معرفة المرء بالقيم والمعايير والافكار السياسية الجديدة لا تستتبع بالضرورة تحوله الى الاخذ بها والتخلي عن نقيضها . اذ ترتبط هذه العملية بعدة متغيرات من بينها مدى استقرار الثقافة التقليدية في نفسه ، وخصائص الشخصية والاطار الاجتماعي السائد .

وعلى اية حال ، لا يتأتى لادوات الاعلام — مهما بلغت درجة فاعليتها أن تحدث بمفردها التعديل الثقافي المطلوب ولكن لا بد أن تتضافر معها الاحزاب وقادة الراي .

(٥) الجيش (٤١) : يعتبر الجيش اكبر مؤسسات الدول النامية عصرية وتقدما . وتتيح فترة الخدمة العسكرية للمجند أن يكتسب خبرات فنية جديدة وان يتعرف على منجزات العلم العسكري العالمي وحالة جيوش البلدان الاخرى الاكثر تقدما . وخليق بكل هذا ان ينمي عنده الرغبة في التغيير ، أي التحول من الحياة التقليدية الى الحياة العصرية .

ومن ناحية اخرى ، يلعب الجيش دورا لا ينكر في غرس الشعور بالانتماء القومي لدى المجندين الذين ينحدرون من مجموعات تختلف في أوضاعها الاقتصادية والعرقية واللغوية والدينية والقبلية . ويؤدي الجيش هذا الدور اما بطريق مباشر اي من خلال تلقين المجند قيم حب الوطن والفخر

به أو بطريق غير مباشر اي من خلال ما تتيحه الحياة العسكرية للمجندين من اختلاط وتفاعل وتعارف يؤدي ، ولا ريب ، الى التخفيف من غلواء انتماءاتهم المحلية وتأهيلهم للتفكير من منظور قومي واسع .

(٦) البرلمان : (٤٢)

من بين وظائف البرلمان تلك المتعلقةبالتنشئة والتربيةالسياسية للاعضاء والجماهير . وبرغم أنه قد لا يكون واحدا منأكثر أدوات التنشئة السياسية اهمية ، الا أنه يقتعد مكانه ضمن مؤسسات التنشئة في مرحلة النضج . ولا غرو في ذلك . فالبرلمان يخلق فكرة تمثيل الجماهير ، وليس هناك ما يخلع الشرعية على نظام سياسي ما اكثر من الاحساس بان من بيدهم مقاليد الامور يمثلون مختلف المصالح أو الجماعات أو الثقافات في المجتمع . ومن خلال هذا التمثيل ، يعمل البرلمان دائما كرمز لثقافة واحدة بازاء الثقافات الفرعية المتعارضة . كذلك فان التفاعل بين اعضاء البرلمان الممثلين لمختلف المناطق الجغرافية والقوى الاجتماعية يعمل على خلق نوع من الاتفاق على المشاكل العامة وتحقيق درجة اكبر من الفهم لوجهات النظر المتعارضة . كذلك يؤدي البرلمان ما يسمى بالتنشئة على الدور حيث يتيح للاعضاء فرصة استيعاب قواعد ومعايير اللعبة التشريعية . ومع ما سبق ، يمكن ان يعمل البرلمان كأداة تثقيفية هامة للمواطنين فاذا دابت الصحف وغيرها من ادوات الاعلام على نشر واذاعة ما يجري داخل البرلمان من مداولات ، صارت الجماهير واعية سواء بالقضايا التي تواجه صانعي القانون أو بمختلف جوانب العملية التشريعية .

تلك هي اظهر ادوات التنشئة السياسية . ويبدو انها تتضافر جميعا في اداء وظيفة التنشئة داخل البلدان المتقدمة . وحيث أن جوهر هذه الوظيفة في الدول النامية ينصرف الى استبدال الثقافة الجديدة بالثقافة القديمة ، وحيث أن الاسرة ميكانزم تربوي تقليدي ، كان طبيعيا أن يعتمد في تحقيق التطوير الثقافي على الادوات الاخرى خصوصا المدرسة والحزب وادوات الاعلام والجيش . على أن التحديث الثقافي في هذه البلدان لم يكن مخططا ومكثفا مما يفسر تواضع ما أصاب الانساق الفكرية والقيمية هنالك من تغير .

آفاق الدراسة :

بقدر ما سلطت الدراسة الضوء على ابرز المفاهيم والمسائل المقترنة بموضوع التنشئة السياسية بقدر ما تحملنا على اثارة عدد من القضايا لعل أولها الندرة المؤسفة في البحوث النظرية والتطبيقية حول انماط التنشئة

والثقافة السياسيـــة في البلدان العربيـــة . ويضاعف ذلك ، بلا شك ، من مسئولية المشتغلين بعلم السياسة في وطننا العربي . فعليهم واجب القيام بدراسات علمية جادة في هـــذا السبيل اذا كـــان لهم أن يقفوا على ماهيـــة المعوقات الثقافية للتنمية وكيفية القضاء عليها من ناحية ، ثم دور الثقافة السياسية في تحديد السلوك السياسي للانسان العربي والسلوك الخارجي للدول العربية حيال بعضها البعض وحيال القوى الاجنبية من ناحية اخرى .

أما القضية الثانية فتتصل بمدى سيادة مفهوم العروبة في الثقافـــات السياسية للمجتمعات العربية . هذه القضية جديرة بالطـــرح لا سيما وأن المفكرين والكتاب العرب ما برحوا منقسمين بازائها . فمنهم من يقر بتوفـــر الشعور بالانتماء العربي لدى العرب . ومنهم من يثير الغبار والشكوك حول وجوده أصلا . ورغم تعاطفنا مع الفريق الاول ؛ الا ان رأيه وراي الفريق الثاني سوف يحتملان الصواب والخطأ دائما ما لم تساندهما نتائج بحـــوث تجريبية تهدف الى الكشف عن حقيقة عنصر العروبة في الثقافة السياسيـــة السائدة داخل الاقطار العربية وارتباط ذلك بعمليات التنشئة الاجتماعية والسياسيـــة هنـــاك .

وتتعلق القضية الثالثة بالاتساق أو التعارض بين نمط التنشئة وبين امكانية الممارسة الديمقراطية . اذ لا يخفى أن الديمقراطية ليست مجـــرد اجراءات ومؤسسات كالاقتراع العام والاحزاب وجماعات المصالح ، وانما هـــي أيضا قيم ومشاعر واتجاهات مواتيـــة للنشاط الديمقراطي كالايمان بالمشاركة والاحســـاس بالاقتـــدار السياسي والتســـامـــح الفكري المتبادل والشعور بالاستقلال وتوفر روح المبادرة . وغنى عن القول أن الديمقراطية تعاني ازمة حادة في أغلب أن لم يكن كل الدول العربية . واعتقادنا ان الالمام بأطراف هذه الازمة ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار اعراضها الثقافية . ولا يمكن تشخيص هذه الاعراض وتحديد كيفية القضاء عليها الا من خلال الدراسة التجريبية لانماط التنشئـــة ومضامـــين الثقافـــات السياسيـــة السائدة في المجتمعـــات العربيـــة .

الهوامـــش

(١) David Sears, Political Socialization, in : Fred Greenstein & Nelson Polsby, eds., Handbook of Political Science, Vol. 2, Massachusetts, Addison Wesley Publishing company, 1975, p. 95.

(٢) Herbert Hyman, Political Socialization, A Study in the Psychology of Political Behavior, New York, Free Press of Glencos, 1959, p. 25.

(٣) Kenneth Langton, Political Socialization Boston, Little Brown, 1969. p. 4.

(٤) Fred Greenstein, Political Socialization, International Encycloperia of the Social Sciences, 1968, Vol. 14, p. 551.

(٦) David Sears, *op. cit.*, p. 95.

(٥) Herbert Maclosky, Political Participation, International Encyclopedia of the Social Sciences, 1968, Vol. 12., p. 257.

(٧) Lester Milbrath, Political Participation, How People get Involved in Politics, Csicago, Rand MeN.ally & Comp., 1965, pp. 39-41.

(٨) Sidney Verba, Small groups. and Political Behavior, A Study of Leadership, N.J. Princeton U.P., 1961, pp. 35-36.

(٩) انظر معالجة ضافية لهذه الفكرة في :

William Erbe, Social Involvement and Political Activity, "American Sociological Review", Vol, 29, 1964, pp. 198-215.

(١٠) D. Marvick, Political Recruitment and Careers, International Encyclopedia of the Social Sciences, 1968, Vol. 12, p. 277. Ibid, p. 278.

(١١) Ibid, p. 278.

(١٢) راجع في هذا الشأن :

Peter Merkls, Modern Comparative Politics, New York, Holt, Rinehart & Winston, Inc., 1970, pp. 132, 135.

G. Almond & J. Coleman, eds., Politics of the Developing Areas, N.J. Princeton U.P., 1961, pp. 31-32.

(١٣) David Easton & Robert Hess, Youth and the Political System, in : Seymour lipset, & Les Lowenthal, eds., Culture & Social Character, New York, Free Press of Ylencas, 1962, p. 228.

(١٤) راجع بصفة خاصة :

David Easton, The theoretical Relevance of Political Socialization, Canadian Journal of Political Science", June 1968, pp. 131-138.

(١٥) G. Almond & B. Powell, Comparative Politics, A Development Approach Boston, Little Brown & Comp., 1966, p. 70.

(١٦) انظر بوجه عام :

Lucian Pye, Political Culture and Political Development, in : Lucian Pye & Sidney Verba, eds., Political Culture and Political Development, N.J., Princeton U.P., 1965, pp. 15-17.

(١٧) Robert Lané, Political Life, Why People get Involved in Politics, New York, Free press of Glencoe, Inc., 1961, pp. 204-207.

(١٨) Hollander Gayle, Soviet Political Indoctrination : Developments in the Mass Media & Propaganda since Stalin, New York, Praeger publishers, 1972, p. 4.

(١٩) انظر بهذا الصدد :

Richard Dawson & Kenneth Prewitt. Political Socialization, Boston, little Brown & Comp., 1969, pp. 82-84.

Dennis Kavanagh, Political Culture, London, The Macmillan Press, Ltd., 1972, p. 21.

(٢٠) Peter Merkle, op. cit., p. 187.

(٢١) انظـــر بالـــذات : D. Easton & R. Hess; The Child's Political World, in : Adler & Harrington, eds, The Learning of Political Behaviour, U.S.A., Scott, Foresman and Comp., 1970, pp. 37-48.

وانظـــر كذلـــك :

D. Easton & J. Dennis, The Child's Image of government, in Roberta Sigel, ed., A Reader in Political Socialization, New York, Random House, 1970, pp. 31-48.

(٢٢) Roberta Sigel, An Exploration into Some Aspects of Political Socialization : School Children's Reactions to the Death of a President, in : Roberta Sigel, ed., op. cit., pp. 153-154.

(٢٣) Roberta Sigel, ed., op. cit., p. 11.

(٢٤) Richard Merelman, The Development of Policy Thinking in Adolescence, American Political Science Review", Vol. 2, December 1971, pp. 1033-1036.

— Joseph Adelson and Roberta O'Neil, Growth of Political Ideas in Adolescence, in : Adler and Harrington, eds., op. cit., pp. 62-63.

(٢٥) Michael Rush & Philip Atthoff, An Introduction to Political Sociology, London, Nelson & Sons Ltd., 1971, pp. 46-47.
Roberta Sigel, ed., op. cit., pp. 430-432.

(٢٦) James Davies, The Family's Role in Political Socialization, in : Adler and Harrington, eds., op. cit., p. 117.
Herbert Hyman, op. cit., pp. 56-57.

(٢٧) M. Jennings and R. Niemi, Theh Transmission of Political Values from Parent to Child, "American Political Review", Vol., 62, 1968, pp. 169-184.
— Roberta Sigel, op. cit., pp. 103-197.

(٢٨) Dean Jaros, Socialization to Politics, U.S.A., Praeger Publishers, Inc., 1973, pp. 78-79.

(٢٩) انظر على وجه الخصوص :
R. Hess and J. Torney, The Family and School as Agents of Socialization, in: Adler and Harrington, eds., op. cit., pp. 124-137.
— Roberta Sigel, ed., op. cit., pp. 311-315.
ـ د. شمران حمارى ، أصل التفاون في الاتجاهات السياسية بين الناس ، بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٧٣ ، ص ٣٨

(٣٠) Peter Merkel, op. cit., p. 115.

(٣١) Gayle Hollander, op. cit., pp. 12-13.

(٣٢) James Coleman, ed., Education and Political Development, N.J., Princeton U.P., 1965, p. 22.
— Robert Levins, Political Socialization and Cultural Change, in : Clifford Geertz, ed., Old Societies and New States, London, Free Press of Glencas, 1963, p. 301.

(٣٣) د. شمران حمادي ، مرجع سابق ، ص ٤٠

(٣٤) K. Langton, Peer Group and School and the Political Socialization Process, "American Political Science Review", Vol. 61, 1967, pp. 751-758.
— Dean Jaros, op. cit., pp. 126-131.
— Roberta Sigel, op. cit., pp. 411-413.

(٣٥) راجـــع :
William Chandler, Peer Groups Socialization among German Students, "Canadian Journal of Political Science", Vol. VII, No. 4, December 1974, p. 691.

وراجـــع ايضا

(٣٦) انظر على سبيل المثال :

Dawson and Prewitt, op. cit., pp. 127-128.

G. Almond and B. Powell, op. cit., pp. 120-126.

— Joseph La Palombara and Myron Weiner, eds., Political Parties and Political Development, N. J., Princeton U.P., 1966, pp. 424-427.

— James Jupp, Political Parties, London, Routhedge and Kegan Paul, 1968, p. 31.

— Manfred Halpern, The Politics of Social Change in the Middle East and North Africa, N. J., Princeton U. P., 1963, p. 285.

(٣٧) الايديولوجية : هي بناء فكري متكامل يتضمن مثلا معينة وتحديدا للاهداف المستقبلية ووسائل بلوغ تلك الاهداف . انظر :

Charles Andrian, Political Life and Social Change : An Introduction to Political Science, California, Wadswarth Publishing Comp., Inc., 1974, pp. 81-82.

(٣٨) الزعيم الكارزمي هو الذي يبدو — في نظر اتباعه — شخصا حائزا لصفات شخصية غير عادية تميزه عن غيره من الناس كالبطولة والشجاعة والمقدرة . وهو بذلك يستطيع أن يضمن الولاء له والاخلاص لرسالته (أي المبادىء والمثل التي يعبر عنها) من جانب هؤلاء التابعين الذين يقعون أسرى شخصيته الاسطورية .

حول معنى الكارزما ، انظر بالذات :

Max Weber, The Theory of Social and Economic Organization, Translated by M. Henderson & T. Parsons, London, Oxford U.P., 1947, pp. 358-363.

(٣٩) نقصد بالايديولوجية غير المحافظة تلك التي تنشد تغييرا جذريا في المجتمع ومثالها الايديولوجية الاشتراكية

(٤٠) Herbert Hyman, Mass Communication and Socialization, "Public Opinion Quarterly", Vol. XXXVII, No. 4., Winter 1973, pp. 524-538.

— G. Almond & B. Powell, op. cit., pp. 173-176.

— G. Dennis Kavanagh, op. cit., p. 43.

(٤١) Lucian Pye, Aspects of Political Development, Boston, Little Brown & Comp., Inc., 1966, pp. 178-179, 182.

(٤٢) Joseph La Palombara, Politics within Nations, New Jersey, Prentice-Hall, Inc., 1974, pp. 157-161.